Comprehensive Journal of Science
Volume (11), Issue (41), (JUNE, 2026)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (11) ملحق العدد 41 يونيو 2026
ردمد: 3014-6266

آثر الفكر البراجماتي على مجتمعنا العربي الإسلامي

محمد مصطفى أبوزيد علي
جامعة صبراتة / كلية الآداب الجميل – قسم الفلسفة

The Impact of Pragmatic Thought on Our Arab-Islamic Society

Muhammad Mustafa Abu Zaid Ali
University of Sabratha / Faculty of Arts, Department of Philosophy
buzaid@sabu.edu.ly

تاريخ الاستلام:2026/07/10 –تاريخ المراجعة:2026/07/18– تاريخ القبول: 2026/07/28– تاريخ للنشر: 25/ 8/ 2026

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة أثر الفكر البراجماتي في المجتمع العربي الإسلامي، من خلال مقاربة تحليلية نقدية تتناول الأسس الفلسفية التي قام عليها الفكر البراجماتي، وأبرز مرتكزاته المتمثلة في التجربة والعمل والمنفعة والنتائج العملية، ثم تتبع مظاهر انتقال بعض مفاهيمه إلى البيئة العربية والإسلامية، والكشف عن طبيعة تأثيرها في أنماط التفكير والثقافة والتربية والتعليم والقيم والممارسة الاجتماعية والسياسية.

وينطلق البحث من فرضية مؤداها أن حضور الفكر البراجماتي في المجال العربي الإسلامي لم يكن مجرد انتقال لمذهب فلسفي غربي بصورة مباشرة، وإنما جاء في إطار تفاعل فكري وحضاري عبر حركة الترجمة والتعليم والبعثات والاحتكاك بالفلسفة الغربية الحديثة، فضلًا عن إسهامات عدد من المفكرين العرب الذين سعوا إلى الإفادة من بعض الاتجاهات الفلسفية المعاصرة في معالجة إشكالات الفكر العربي. ويبرز في هذا السياق مشروع زكي نجيب محمود بوصفه نموذجًا مهمًا لمحاولة توظيف بعض عناصر الفكر البراجماتي في مشروع تجديد الفكر العربي وإعادة النظر في العلاقة بين التراث والواقع.

وقد خلص البحث إلى أن للفكر البراجماتي جملة من الآثار الإيجابية التي يمكن الإفادة منها في المجتمع العربي الإسلامي، ولا سيما تعزيز قيمة العمل، وربط المعرفة بالممارسة، وتنمية التفكير النقدي، وتشجيع التجربة والبحث، والحد من الجمود الفكري، وربط العملية التعليمية بمشكلات الواقع واحتياجات المجتمع. غير أن هذه الإفادة تظل مشروطة بضرورة التمييز بين الجانب المنهجي والعملي في البراجماتية وبين بعض نتائجها الفلسفية التي قد تتعارض مع طبيعة المرجعية الدينية والقيمية للمجتمع العربي الإسلامي.

كما يكشف البحث عن بعض الآثار السلبية المحتملة للتبني غير النقدي للفكر البراجماتي، وفي مقدمتها اختزال الحقيقة في المنفعة، وإخضاع القيم الأخلاقية للنتائج العملية، وتغليب المصلحة الآنية على المبادئ، والنظر إلى التراث من منظور نفعي محض؛ الأمر الذي قد يؤدي إلى إضعاف البعد الروحي والأخلاقي في البناء الحضاري للمجتمع.

وبناءً على ذلك، يؤكد البحث أن الموقف العلمي المتوازن من الفكر البراجماتي لا ينبغي أن يقوم على الرفض المطلق أو القبول غير المشروط، وإنما على مبدأ الاستيعاب النقدي وإعادة التوظيف الحضاري؛ بحيث يستفيد الفكر العربي الإسلامي من قيم العمل والتجربة والنقد والفاعلية وحل المشكلات، مع الحفاظ على ثوابت منظومته المعرفية والأخلاقية.

ويخلص البحث، في ضـوء ذلك، إلى أن القيمة الحقيقية التي يمكن أن تضـيفها البراجماتية إلى المجتمع العربي الإســـلامي تتمثل في إعادة وصـــل الفكر بالواقع، والمعرفة بالعمل، والنظرية بالتطبيق، دون تحويل المنفعة إلى معيار وحيد للحقيقة أو القيمة؛ بما يتيح بناء رؤية فكرية معاصـــرة قادرة على الانفتاح على منجزات الفكر الإنساني، مع الاحتفاظ بالاستقلال الحضاري والخصوصية القيمية للمجتمع العربي الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الفكر البراجماتي، المجتمع العربي الإســـلامي، البراجماتية، وليام جيمس، جون ديوي، زكي نجيب محمود، التجربة، المنفعة، القيم، التجديد الفكري، التراث.

الكلمات المفتاحية: **الفكر – البراجماتي – المجتمع – الإسلامي.**

المقدمة

شهد الفكر الفلسفي الحديث تحولات عميقة أعادت تشكيل طبيعة العلاقة بين الإنسان والمعرفة والواقع؛ فلم تعد الفلسـفة مقصـورة على البحث في المبادئ المجردة للوجود، وإنما اتجهت بعض الاتجاهات الفلسـفية الحديثة إلى إعادة النظر في وظيفة الفكر ودوره في الحياة الإنسانية. وفي هذا السياق برزت الفلسفة البراجماتية بوصفها أحد أبرز الاتجاهات الفلســفية التي جعلت من التجربة والعمل والنتائج العملية عناصـــر أســاســية في فهم المعرفة والحقيقة والقيمة.

وقد نشـأت البراجماتية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصـف الثاني من القرن التاسـع عشـر، وارتبطت بصورة خاصة بثلاثة من أبرز أعلامها، هم: تشارلز ساندرس بيرس، ووليام جيمس، وجون ديوي. وإذا كان بيرس قد وضع الأساس المنهجي للمذهب، فإن وليام جيمس أسهم في توسيع مجاله وتقديمه إلى جمهور أوسع، ثم جاء جون ديوي ليمنحه امتدادًا تربويًا واجتماعيًا وسياسيًا واسـعًا. وتشـير الدراسـات العربية إلى أن البراجماتية لم تكن مـذهبًا واحدًا جامدًا، وإنما مجموعة من الاتجاهات التي يجمعها اهتمام مشـــترك بالنتائج العملية للأفكار والمعتقدات. (1)

وقد ارتبط ظهور البراجماتية بالتحولات العلمية والاجتماعية التي شـــهدها المجتمع الأمريكي، حيث برزت الحاجة إلى فلسـفة أكثر اتصـالًا بالممارسـة والتجربة، وأقل انشـغالًا بالمقولات المجردة المنفصـلة عن مشـكلات الحياة. ولذلك أصـبحت الفكرة، وفق التصـور البراجماتي، لا تُقاس فقط بما تتضـمنه من بناء منطقي، وإنما بما يمكن أن تؤديه من وظيفة في التجربة الإنسانية. (2)

ولم يظل الفكر البراجماتي حبيس البيئة الغربية، بل انتقل إلى عدد من البيئات الثقافية، ومن بينها البيئة العربية، من خلال حركة الترجمة والتعليم والبعثات والاحتكاك بالفكر الغربي الحديث. وقد وجد بعض المفكرين العرب في البراجماتية، ولا سـيما في جوانبها المتعلقة بالعمل والتجربة والتجديد، أدوات يمكن توظيفها في معالجة بعض مشكلات الفكر العربي المعاصر.

ويأتي زكي نجيب محمود في مقدمة المفكرين العرب الذين ارتبطوا بصـورة واضـحة بهذا الحوار مع الفلسـفة الغربية الحديثة، ولا سيما في مشروعه المتعلق بتجديد الفكر العربي؛ فقد حاول الإفادة من بعض المناهج الحديثة في إعادة النظر في علاقة الفكر العربي بالتراث والواقع والعصر. (3)

ومن هنا فإن دراســـة أثر الفكر البراجماتي على المجتمع العربي الإســـلامي لا ينبغي أن تقوم على موقف مسبق، سواء بالرفض المطلق أو القبول المطلق، وإنما ينبغي أن تتجه إلى الفحص والتحليل والنقد؛ للوقوف على ما يمكن أن تقدمه البراجماتية من عناصر إيجابية، وما قد تثيره من إشكالات عندما تنتقل بعض مبادئها إلى بيئة حضارية ودينية لها منظومتها الخاصة في فهم الحقيقة والقيمة والأخلاق.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيس الآتي:

إلى أي مدى أسهم الفكر البراجماتي في التأثير في المجتمع العربي الإسلامي، وما طبيعة هذا التأثير وحدوده، وما الجوانب التي يمكن الإفادة منها، وتلك التي ينبغي إخضاعها للنقد والمراجعة؟

ويتفرع عن ذلك عدد من التساؤلات:

- ما المقصود بالفكر البراجماتي، وما أهم أصوله ومبادئه؟
- كيف انتقل الفكر البراجماتي إلى البيئة العربية؟
- ما أبرز مظاهر تأثيره في الفكر والمجتمع العربي الإسلامي؟
- ما أثره في التربية والتعليم؟
- ما أثره في التعامل مع التراث؟
- ما انعكاساته على القيم الاجتماعية والأخلاقية؟
- ما حدود إمكان التوفيق بين بعض المبادئ البراجماتية والمنظومة الفكرية الإسلامية؟

أهمية البحث

تنبع أهمية البحث من أن البراجماتية، على الرغم من نشأتها في سياق فلسفي غربي محدد، أصبحت جزءًا من المشهد الفكري العالمي، كما أن بعض مبادئها المتعلقة بالتجربة والعمل وحل المشكلات أصبحت حاضرة، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في مجالات التربية والثقافة والسياسة والإدارة.

كما أن دراسة هذا التأثير تكتسب أهمية خاصة في المجتمعات العربية والإسلامية؛ لأنها تتيح فحص العلاقة بين الفكر الوافد والخصوصية الحضارية، وتساعد على بناء موقف نقدي لا يقوم على الانغلاق أو التبعية. مفهوم الفكر البراجماتي ونشأته وأبرز أعلامه

أولًا: مفهوم البراجماتية

يرتبط مصطلح «البراجماتية» بالأصل اليوناني Pragma، الذي يحيل إلى الفعل والعمل والممارسة. ومن هذا الاشتقاق اتخذت البراجماتية من النشاط العملي والتجربة نقطة مركزية في رؤيتها للمعرفة والحقيقة.

غير أن استخدام مصطلح البراجماتية في الخطاب العربي المعاصر كثيرًا ما اتخذ معنى مختلفًا عن معناه الفلسفي الدقيق؛ فأصبح يدل أحيانًا على الانتهازية السياسية أو تقديم المصلحة الخاصة على المبادئ. وهذا الاستخدام لا يعبر بصورة كاملة عن البراجماتية بوصفها مذهبًا فلسفيًا؛ إذ إن البراجماتية في صورتها الفلسفية تتعلق أساسًا بمنهج في النظر إلى الأفكار والمعتقدات من خلال آثارها العملية. (4)

وتذهب البراجماتية إلى أن الفكر لا ينبغي أن يكون منفصلًا عن الحياة، وأن قيمة الأفكار يمكن أن تظهر من خلال قدرتها على معالجة المشكلات الواقعية. ولهذا ارتبطت البراجماتية بالمنهج التجريبي وبالنزعة العملية، وأصبح العقل عند بعض ممثليها أداة للتعامل مع الواقع أكثر من كونه مجرد وسيلة للتأمل المجرد. (5)

ومن هنا يمكن القول إن البراجماتية تمثل انتقالًا من السؤال التقليدي:

«هل الفكرة صحيحة في ذاتها؟»

إلى سؤال آخر أكثر ارتباطًا بالممارسة:

«ما الذي تترتب على هذه الفكرة من نتائج في الواقع؟»

وهذا التحول يمثل أحد أهم المفاتيح لفهم البراجماتية، كما يمثل في الوقت نفسه نقطة الخلاف الأساسية بينها وبين التصورات الفلسفية التي تجعل الحقيقة مستقلة عن المنفعة العملية.

ثانيًا: نشأة البراجماتية

نشأت البراجماتية في الولايات المتحدة الأمريكية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في سياق اتسم بالتطور العلمي والتقني والتحولات الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي ساعد على ظهور فلسفة أكثر ارتباطًا بالحياة العملية والتجربة الإنسانية.

وقد كان تشارلز ساندرس بيرس من أوائل من صاغوا المبادئ الأساسية لهذا الاتجاه، ثم جاء وليام جيمس فأعطى البراجماتية حضورًا واسعًا في الفلسفة الأمريكية، قبل أن يطور جون ديوي أبعادها التربوية والاجتماعية والسياسية. وتؤكد دراسة أكاديمية عربية منشورة بجامعة مصراتة أن البراجماتية ظهرت في الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر، وأن بيرس وجيمس وديوي يمثلون أبرز حلقاتها التاريخية. (6)

وقد ارتبط تطور البراجماتية كذلك بالتحول في طبيعة التفكير الفلسفي؛ إذ لم تعد الفلسفة عند ممثليها مجرد بحث في المبادئ الأولى، بل أصبحت وسيلة لفهم مشكلات الإنسان ومحاولة إيجاد حلول لها.

ثالثًا: أبرز أعلام البراجماتية

1. تشارلز ساندرس بيرس

يمثل بيرس نقطة الانطلاق الأساسية في تاريخ البراجماتية؛ إذ اهتم بالعلاقة بين الاعتقاد والعمل، وربط معنى الفكرة بالآثار العملية التي يمكن أن تترتب عليها.

وقد كان اهتمامه بالمنهج العلمي والبحث والتجربة واضحًا في تصوره للمعرفة، الأمر الذي جعل البراجماتية منذ بدايتها مرتبطة بالمنهج أكثر من ارتباطها بمجرد مجموعة من النتائج الفلسفية النهائية. (7)

2. وليام جيمس

يعد وليام جيمس من أكثر فلاسفة البراجماتية تأثيرًا وانتشارًا، وقد أسهم في نقلها من إطارها المحدود إلى مجال أوسع يتصل بالدين والأخلاق والنفس والحياة الإنسانية.

وقد ركز جيمس على قيمة التجربة الإنسانية، وربط صدق الاعتقاد بما يترتب عليه من آثار عملية في حياة الإنسان. ولذلك أصبحت البراجماتية عنده ذات طابع أكثر إنسانية وارتباطًا بالحياة اليومية. (8)

وتكشف دراسة عربية منشورة في مجلة علمية محكمة بجامعة مصراتة أن فلسفة جيمس قامت على الاهتمام بما تؤديه الأفكار من نفع وما تنتجه من نتائج عملية، وأنه أسهم بصورة ملحوظة في انتشار البراجماتية في الفكر المعاصر. (9)

مندوحة

3. جون ديوي

أما جون ديوي فقد نقل البراجماتية إلى مجالات التربية والاجتماع والسياسة، وربطها بصورة واضحة بفكرة التجربة والتعلم من خلال النشاط.

ولذلك أصبحت فلسفته ذات تأثير كبير في المجال التربوي؛ إذ دعا إلى جعل المدرسة امتدادًا للحياة الاجتماعية، وربط التعليم بالنشاط والتجربة وحل المشكلات.

وتشير مصادر عربية تربوية إلى أن ديوي جعل من التجربة والنشاط عنصرين أساسيين في العملية التعليمية، وهو ما منح البراجماتية امتدادًا عمليًا واسعًا خارج نطاق الفلسفة المجردة. (10) المبادئ الأساسية للفكر البراجماتي

أولًا: الحقيقة والمنفعة

تمثل العلاقة بين الحقيقة والمنفعة واحدة من أكثر القضايا إثارة للجدل في البراجماتية.

فالبراجماتيون لا ينظرون إلى الحقيقة بوصفها فكرة جامدة منفصلة عن التجربة، وإنما يربطونها بما تثبته الممارسة والتجربة من صلاحية في تحقيق النتائج.

وقد أدى هذا إلى انتشار العبارة الشائعة التي تختزل البراجماتية في القول بأن «الحقيقة هي المنفعة»، غير أن هذه الصياغة تحتاج إلى قدر من الدقة؛ لأن المقصود ليس المنفعة المادية الضيقة، وإنما قدرة الفكرة على العمل داخل التجربة الإنسانية وإنتاج نتائج قابلة للاختبار. (11)

ومع ذلك، فإن هذا التصور يثير إشكالًا فلسفيًا مهمًا: فنجاح فكرة معينة في تحقيق نتيجة عملية لا يعني بالضرورة أنها حقيقة مطلقة؛ فقد تكون الفكرة نافعة في ظرف محدد ثم تفقد صلاحيتها بتغير الظروف.

وهنا يظهر الفرق بين الحقيقة بوصفها معيارًا معرفيًا وبين المنفعة بوصفها معيارًا عمليًا.

ثانيًا: التجربة

تحتل التجربة مكانة محورية في التفكير البراجماتي؛ فالإنسان لا يصل إلى المعرفة من خلال التأمل العقلي المجرد فقط، وإنما من خلال احتكاكه بالعالم ومواجهته للمشكلات واختباره للحلول.

وهذا الجانب من البراجماتية يمثل أحد أهم عناصر قوتها؛ لأنه يربط المعرفة بالواقع ويجعل الخطأ جزءًا من عملية البحث والتعلم.

ومن هنا يمكن الإفادة من المبدأ البراجماتي في المجتمعات العربية والإسلامية في مواجهة نمط من التفكير يقوم على قبول الأفكار دون اختبار أو مراجعة.

ثالثًا: العمل

إذا كانت التجربة تمثل المجال الذي تختبر فيه الأفكار، فإن العمل يمثل الوسيلة التي تتحول بها الأفكار إلى واقع.

وقد أصبح الربط بين الفكر والعمل من أبرز السمات التي ارتبطت بالبراجماتية، حتى أصبح الفكر عند ديوي مرتبطًا بصورة وثيقة بمواجهة المشكلات التي تعترض الإنسان. وتشير مصادر عربية إلى أن المعرفة عند ديوي تؤدي وظيفة في خدمة مطالب الحياة، وأن التفكير يتجه إلى معالجة العقبات التي تواجه الإنسان. (12)

وهذه الفكرة تحمل أهمية خاصة للمجتمع العربي؛ إذ إن إحدى مشكلات المجتمعات المعاصرة تتمثل أحيانًا في اتساع الفجوة بين كثرة الخطاب وقلة التطبيق.انتقال الفكر البراجماتي إلى البيئة العربية

لم ينتقل الفكر البراجماتي إلى البيئة العربية عن طريق عامل واحد، وإنما جاء نتيجة مجموعة من عمليات الاتصال الثقافي والفكري، من أهمها الترجمة والتعليم الجامعي والبعثات العلمية والاحتكاك بالفكر الغربي.

وقد كان لعدد من المفكرين العرب دور في التعريف بالفلسفة البراجماتية، سواء من خلال عرضها أو نقدها أو محاولة توظيف بعض عناصرها في معالجة مشكلات الفكر العربي.

ويأتي زكي نجيب محمود في مقدمة هؤلاء المفكرين، خاصة من خلال اهتمامه بقضية التجديد وربط الفكر بالواقع.

فقد سعى في مشروعه الفكري إلى تجاوز حالة الانفصال بين التراث والحاضر، وإلى البحث عن صيغة تمكن الفكر العربي من الاستفادة من المنجزات العلمية والفلسفية الحديثة دون فقدان هويته.

وتكشف الدراسات التي تناولت فكره عن حضور البراجماتية ضمن مجموعة الاتجاهات الفلسفية التي أثرت في مشـــروعه الفكري، ولا ســـيما في علاقته بمســـألة التجديد والتعامل مع التراث. (13) أثر الفكر البراجماتي في المجتمع العربي الإسلامي

أولًا: الأثر في الفكر والثقافة

من أبرز آثار الفكر البراجماتي في المجال الثقافي العربي تعزيز الاتجاه الذي يدعو إلى تجاوز الجمود الفكري وربط الثقافة بمشكلات المجتمع.

فالثقافة، وفق المنظور العملي، لا ينبغي أن تكون مجرد تراكم للمعلومات، وإنما ينبغي أن تتحول إلى قدرة على فهم الواقع وتغييره.

وهنا تتقاطع بعض المبادئ البراجماتية مع الحاجة العربية المعاصـــرة إلى الانتقال من ثقافة الاســـتهلاك إلى ثقافة الإنتاج، ومن مجرد ترديد الأفكار إلى اختبارها وإعادة بنائها.

غير أن الإفادة من هذا المبدأ ينبغي ألا تعني إخضـــاع الثقافة كلها لمعيار المنفعة المباشـــرة؛ لأن الثقافة تتضمن أبعادًا معرفية وجمالية وروحية لا يمكن قياسها دائمًا بمعيار المنفعة الآنية.

ثانيًا: الأثر في التربية والتعليم

يعد المجال التربوي من أبرز المجالات التي يمكن فيها ملاحظة التأثير البراجماتي.

فقد أعطى جون ديوي أهمية كبيرة للتجربة والنشاط، ورأى أن التعلم ينبغي أن يرتبط بالحياة الواقعية للمتعلم.

وتشير المصادر العربية إلى أن ديوي ربط التربية بالديمقراطية والحياة الاجتماعية، وجعل الخبرة أساسًا مهمًا في العملية التربوية. (14)

ومن الممكن الإفادة من هذه المبادئ في تطوير التعليم العربي من خلال:

- الانتقال من الحفظ إلى الفهم.
- ربط المعرفة بالتطبيق.
- تدريب الطالب على حل المشكلات.
- تعزيز البحث والتجربة.
- تنمية التفكير النقدي.
- ربط الجامعة باحتياجات المجتمع.

غير أن التربية في المجتمع العربي الإســـلامي لا يمكن اختزالها في إنتاج الفرد القادر على تحقيق الكفاءة العملية فقط، وإنما يجب أن تتضمن كذلك التكوين الأخلاقي والروحي والإنساني.

ثالثًا: الأثر في التعامل مع التراث

تمثل قضية التراث إحدى أبرز القضايا التي يمكن من خلالها دراسة الأثر البراجماتي في الفكر العربي.

فقد أصبح السؤال المطروح ليس فقط: ماذا يقول التراث؟ وإنما أيضًا: كيف يمكن أن نتعامل معه في الحاضر؟

وقد اتجه زكي نجيب محمود إلى إعادة النظر في التراث من خلال البحث عن عناصر قابلة للتوظيف في الحياة المعاصرة، وهو ما يرتبط جزئيًا بالروح البراجماتية التي تسأل عن الوظيفة التي يمكن أن يؤديها الفكر في الواقع. (15)

غير أن هذا المنهج يحتاج إلى قدر من التوازن؛ لأن التراث ليس مجرد مجموعة من الأفكار التي تقاس قيمتها بمقدار فائدتها العملية، وإنما هو كذلك تعبير عن هوية الأمة وذاكرتها الحضارية.

ومن ثم ينبغي أن تكون العلاقة بالتراث قائمة على:

الفهم التاريخي، والنقد العقلي، والاستيعاب، وإعادة التوظيفالأثر البراجماتي في القيم الاجتماعية والأخلاقية
تطرح البراجماتية سـؤالًا بالغ الأهمية حول طبيعة القيم: هل القيمة ثابتة بصـورة مطلقة، أم أنها تتحدد وفق الظروف والتجربة والنتائج؟

وهنا تظهر إحدى أهم نقاط التوتر بين البراجماتية والتصور الإسلامي للقيم.

فالمجتمع العربي الإسلامي يقوم على منظومة أخلاقية تستند إلى الدين والقيم والمبادئ، في حين تميل البراجماتية إلى دراسة القيمة في إطار التجربة الإنسانية ونتائجها.

ومن ثم فإن نقل المبدأ البراجماتي بصـورة مطلقة إلى البيئة الإسـلامية قد يؤدي إلى إشـكالية تتمثل في جعل المنفعة معيارًا نهائيًا للقيمة.

وهذا أمر يحتاج إلى مراجعة نقدية؛ لأن ما هو نافع للفرد قد يكون ضـارًا بالمجتمع، وما هو نافع في المدى القصير قد يؤدي إلى نتائج سلبية في المدى البعيد.

وعليه فإن معيار المنفعة ينبغي ألا يعمل بصـورة منفردة، وإنما ضـمن منظومة أشـمل تضـم العدل والخير والمسؤولية والكرامة الإنسانية.الأثر في التفكير السياسي والاجتماعي

يمكن للفكر البراجماتي أن يقدم إسـهامًا مهمًا في المجال السـياسـي من خلال التأكيد على أهمية دراسـة الواقع وتقييم السياسات في ضوء نتائجها.

فالسياسة الناجحة لا ينبغي أن تعتمد على الشعارات وحدها، وإنما تحتاج إلى التخطيط والتجربة والتقييم المستمر.

ومن هذه الزاوية يمكن أن تسهم البراجماتية في تعزيز:

الواقعية، والتخطيط، والتقييم، والمرونة، والقدرة على تصحيح الأخطاء.

لكن الخطورة تبدأ عندما تتحول الواقعية إلى تبرير للانتهازية، أو عندما يصبح تحقيق النتيجة مبررًا لاستخدام أي وسيلة.

وهنا ينبغي التمييز بين الواقعية السياسية والانتهازية السياسية؛ فالواقعية تعني إدراك شروط الواقع والتعامل معها بوعي، بينما الانتهازية تعني التخلي عن المبادئ كلما تعارضت مع المصلحة.

ومن ثم فإن الإفادة من البراجماتية سـياسـيًا ينبغي أن تكون محكومة بمبدأ أخلاقي واضـح: ليس كل ما يحقق نتيجة مقبولًا أخلاقيًا. الجوانب الإيجابية والسلبية لتأثير الفكر البراجماتي

أولًا: الجوانب الإيجابية

يمكن تحديد أهم الجوانب الإيجابية في:

- تعزيز قيمة العمل والممارسة.
- ربط المعرفة بالواقع.
- تشجيع التفكير النقدي.
- مقاومة الجمود الفكري.
- تعزيز ثقافة التجربة.
- تطوير أساليب التعليم.
- الاهتمام بحل المشكلات.
- تعزيز ثقافة الإنجاز.
- تشجيع تقييم السياسات والمشروعات على أساس النتائج.
- الحد من الفجوة بين النظرية والتطبيق.

ثانيًا: الجوانب السلبية

في المقابل، يمكن أن تظهر بعض المخاطر إذا انتقلت البراجماتية إلى المجتمع العربي الإسلامي دون نقد، ومن أبرزها:

- اختزال الحقيقة في المنفعة.
- تحويل القيم إلى مسائل نسبية متغيرة.
- تغليب المصلحة الفردية.
- إضعاف البعد الروحي والأخلاقي.
- النظر إلى التراث باعتباره مجرد أداة وظيفية.
- تبرير بعض الممارسات السياسية باسم النتائج.
- تغليب النجاح العملي على المبادئ.

وهنا يجب التأكيد أن هذه النتائج لا تمثل بالضرورة حتميات ملازمة لكل أشكال البراجماتية، وإنما هي احتمالات تزداد عندما يُختزل المذهب في مبدأ المنفعة المجردة. نحو رؤية نقدية عربية إسلامية للفكر البراجماتي

إن الموقف الأكثر اتزانًا من البراجماتية لا يتمثل في القبول المطلق ولا في الرفض المطلق، وإنما في الاستيعاب النقدي.

فالمجتمع العربي الإسلامي يستطيع أن يستفيد من الجوانب المنهجية والعملية للبراجماتية، وخاصة:

- التجربة.
- البحث.
- النقد.
- العمل.
- حل المشكلات.
- ربط النظرية بالتطبيق.

وفي المقابل ينبغي ألا يتبنى بصورة مطلقة المقولات التي تجعل المنفعة معيارًا نهائيًا للحقيقة والقيمة.

ومن هنا يمكن بناء رؤية تقوم على معادلة متوازنة:

الاستفادة من البراجماتية في المنهج، ونقدها في المعيار، وإعادة توظيف عناصرها الإيجابية داخل المنظومة الحضارية العربية الإسلامية.

وهذا الموقف لا يمثل انغلاقًا عن الفكر الغربي، بل يمثل شكلًا من أشكال الاستقلال الفكري؛ لأن الاستقلال لا يعني رفض الآخر، وإنما يعني القدرة على الحوار معه وانتقاء ما يتوافق مع حاجات المجتمع وقيمه.النتائج

خلص البحث إلى جملة من النتائج، أهمها:

البراجماتية اتجاه فلسفي نشأ في البيئة الأمريكية في القرن التاسع عشر، وارتبط بصورة أساسية ببيرس وجيمس وديوي. (16)

يمثل العمل والتجربة والنتائج العملية محاور أساسية في الفكر البراجماتي.

انتقلت البراجماتية إلى البيئة العربية من خلال قنوات ثقافية وفكرية متعددة، ولم تنتقل في صورة مذهب واحد متكامل.

كان للفكر البراجماتي حضور في مشروع بعض المفكرين العرب، ومن أبرزهم زكي نجيب محمود.

ظهر أثر البراجماتية بصورة واضحة في الدعوة إلى ربط الفكر بالواقع والعمل.

كان المجال التربوي من أهم المجالات التي يمكن الإفادة فيها من المبادئ البراجماتية.
أسهمت البراجماتية في تعزيز قيمة التجربة والتفكير النقدي وحل المشكلات.
يمثل اختزال الحقيقة في المنفعة أحد أبرز الإشكالات الفلسفية التي ينبغي نقدها.
لا يمكن نقل البراجماتية إلى المجتمع العربي الإسلامي بصورة حرفية؛ بسبب اختلاف المرجعيات الدينية والقيمية والحضارية.
يمكن للمجتمع العربي الإسلامي الإفادة من الجانب العملي للبراجماتية دون تبني جميع أسسها الفلسفية.
إن الموقف الأكثر اتزانًا يتمثل في النقد والاستيعاب وإعادة التوظيف، وليس في الرفض أو القبول المطلق.

الخاتمة

يتضح من خلال هذه الدراسة أن أثر الفكر البراجماتي في المجتمع العربي الإسلامي يمثل ظاهرة فكرية مركبة لا يمكن اختزالها في مجرد انتقال مذهب فلسفي من الغرب إلى الشرق.
فقد أسهمت البراجماتية في إثارة مجموعة من الأسئلة المهمة حول طبيعة المعرفة، ووظيفة الفكر، والعلاقة بين النظرية والتطبيق، وأهمية التجربة والعمل. وهذه الجوانب تمثل مجالًا واسعًا يمكن للفكر العربي الإسلامي الإفادة منه، خاصة في ظل الحاجة إلى تجاوز الجمود والانتقال من استهلاك المعرفة إلى إنتاجها وتوظيفها.
غير أن الإفادة من الفكر البراجماتي لا تعني التسليم بجميع مقدماته الفلسفية؛ لأن المجتمع العربي الإسلامي يمتلك منظومة معرفية وقيمية خاصة تجعل الحقيقة والقيمة الأخلاقية أوسع من مجرد المنفعة العملية.
وعليه، فإن الموقف العلمي الرصين ينبغي أن يقوم على التمييز بين البراجماتية بوصفها منهجًا عمليًا يمكن الإفادة منه، والبراجماتية بوصفها تصورًا فلسفيًا قد يتعارض بعضه مع المرجعية الإسلامية.
ومن ثم فإن القيمة الحقيقية للبراجماتية بالنسبة إلى المجتمع العربي الإسلامي تكمن في قدرتها على دفع الفكر إلى العمل، والمعرفة إلى التطبيق، والنظرية إلى الواقع، والخطاب إلى الإنجاز؛ شريطة ألا يتحول هذا التوجه إلى اختزال للإنسان في المنفعة، أو للسياسة في المصلحة، أو للأخلاق في النتائج.
وبذلك يصبح المطلوب ليس استنساخ البراجماتية، وإنما استيعاب عناصرها النافعة وإعادة صياغتها ضمن مشروع فكري عربي إسلامي مستقل، قادر على الجمع بين أصالة المرجعية وفاعلية المنهج.

المصادر والمراجع

(1) محمد علي عبد الصادق، «وليم جيمس والبراجماتية»، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، مج5، ع15، 2020، ص148–157.

(2) نبيل مسيعد، مدخل إلى الفلسفة، مطبوعة بيداغوجية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة عنابة، قسم الفلسفة، صـــ موضع عرض البراجماتية؛ إذ يقرر المصدر أن البراجماتية طرحت مشكلة المعرفة من زاوية العمل وربطت التصور بالآثار العملية.

(3) زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، ط2، 1973. وقد ورد الكتاب ضمن المراجع العربية التي اعتمدت عليها دراسات أكاديمية حديثة في دراسة علاقة زكي نجيب محمود بالاتجاهات الفلسفية الحديثة.

(4) عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط3، 2000، ص367. وقد وردت بيانات المرجع والصفحة في دراسة عربية حول البراجماتية.

(5) توفيق الطويل، أسس الفلسفة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط3، د.ت، ص41. وقد ثبتت هذه البيانات في دراسة أكاديمية عربية تناولت الفلسفة والتربية عند جون ديوي.

(6) محمد علي عبد الصادق، «وليم جيمس والبراجماتية»، مرجع سابق، ص148–157.

(7) يعقوب فام، البراجماتية، القاهرة: الهيئة المصـــرية العامة للكتاب، ســـلســـلة الألف كتاب الثاني، 1998، ص131. وقد وردت هذه الإحالة في دراسة عربية حول المذهب البراجماتي.

(8) محمود زيدان، وليم جيمس، القاهرة: دار المعارف، 1958، ص204–205. وقد وردت هذه الإحالة ضمن المصادر العربية الخاصة بدراسة وليام جيمس والبراجماتية.

(9) محمد علي عبد الصادق، «وليم جيمس والبراجماتية»، مرجع سابق، ص148–157.

(10) جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة نظمي لوقا، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص305. وقد وردت هذه الصفحة في دراسة عربية تناولت الفكر البراجماتي.

(11) وليام جيمس، البراجماتية، ترجمة محمد علي العريان، القاهرة: آفاق للنشـــر والتوزيع، 2015. وتؤكد المصادر العربية أن جيمس جعل النتائج العملية معيارًا مهمًا في فهم الحقيقة والمعتقد.

(12) جون ديوي، البحث عن اليقين، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1960، ص17.

(13) زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصـــرية؛ وانظر كذلك: زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشـــروق. وقد ثبت حضـــور هذين العملين في الدراســـات العربية التي تناولت علاقة الفكر العربي بالبراجماتية.

(14) جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة نظمي لوقا، مرجع سابق، ص305.

(15) زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق. وتناولت دراسات عربية حديثة علاقته بالبراجماتية ومشروعه في تجديد الفكر العربي.

(16) محمد علي عبد الصادق، «وليم جيمس والبراجماتية»، مرجع سابق، ص148–157.